Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجانين العشق العربى

قصة

أحمد سويلم

Bibliotheca Alexandrina
0104049

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجانين العشق العربي

تأليف

أحمد سويلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى العشاق المجانين
فى كـل العصــور

أحمد سويلم

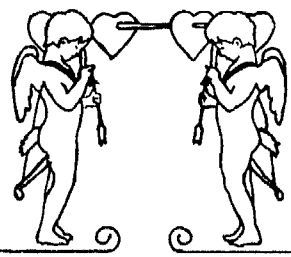

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الكتاب

● هل للحب وجود فى زماننا ..!؟
لابد أن هناك فرقا بين العاشق القديم .. والعاشق العصرى !
ثم .. ماذا عن الجنون فى العشق .. وهل كان العشاق المجانين فى التراث العربى صادقين فى مشاعرهم .. وأشعارهم ..
لابد انهم كانوا يمثلون نماذج بشرية متفردة فى عصورهم .. فكيف نراهم اليوم وقد فصلتنا عنهم قرون من الزمان ؟

● تقدم رحلة هذا الكتاب خمس عشرة شخصية عاشقة مجنونة من تراثنا القديم .. تؤكد الصدق والعطاء والتضحية والتوحد فى الاحساس والعشق والجنون .. ولكن بصورة مختلفة ـ وإن جمع بينها ذلك الحب البائس المحروم الذى يملك على العاشق حياته وأشعاره حتى الموت .

● إنها ذاكرة العشق العربية ننثرها اليوم لعلها تخصب الأرض .. والقلب .. والعقل .. فى عصر يحتاج إلى الخصب والعطاء !

أحمد سويلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

فى الحب .. والجنون

- قيل لأعرابى :

— إن ابنك قد عشِق . .

قال : أىّ بأس فى هذا . . إنه إذا عشِق . . نَظُف . . وظَرُف . . ولطُف !

— ويقول حكيم :

أعقلُ ما فى الحب . . جنونه !

- ويقول آخر :

إن ألذّ ما فى الحب . . الجنون !

أما الحب . . فقد أجهد الفلاسفة والعشّاق والمتيمون أنفسهم فى تعريفه . . ولم يفلح منهم أحد فى الوصول إلى تعريف جامع مانع - كما يقولون - وغاية ما وصلوا اليه هو تناول صفاته . . وأحواله . . واشتقاقاته اللغوية المختلفة .

فهذا ابن حزم يبدأ رسالته (طوق الحمامة) قائلا :

— إن الحب أوله هزل . . وآخره جد . . وهو لا يوصف . . بل لابد من معاناته حتى تعرفه والدين لا ينكره . . والشريعة لا تمنعه . . إذ القلوب بيد الله عز وجل . . وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير !

ثم يسوق ابن حزم ثلاثين باباً يفصّل فيها علامات الحب وإشاراته . . وحالاته رغبةً منه فى الوصول إلى الكمال فى العشق .

ويذكرنا ابن حزم بكتاب (فن الهوى) الذى كتبه أوفيد (٤٣ - ١٨ ق . م) والذى قسّمه الى ثلاثة أبواب : يشرح فى أولها كيف يجدّ طالب الهوى ساعياً ليستولى على قلب خليلته . . وفى الثانى يعلّمه كيف يحتفظ بحبها الى أطول أمد ممكن . . وفى الثالث يتوجه الى المرأة بنصائحه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيعلمها كيف توقع الرجل فى حبالها وكيف تحتفظ به لمدة أطول .

أما ابن داود فى كتابه (الزهرة) فيكشف عن جوهر النظرية العربية فى الحب . .

فماهية الحب لدى ابن داود مرادفة للبحث والغوص إلى الأعماق البعيدة أو التسامى الى القمم الشامخة .

ويمكن أن نقول إن الصورة الشائعة للحب لدى القدماء تعتمد على مصدرين أساسيين : أولهما : الحب العذرى الذى بولغ فيه كثيراً فيما ينطوى عليه من ضروب الحرمان . . والصدّ والهجر . . واللقاء والفراق . . وما يحدث فيه من حالات الاكتئاب . . وكثيراً ما تنتهى هذه الأحوال الى الجنون . . فالموت .

أما الصورة الثانية فمصدرها الأدب الشعبى والحكايات المتخيلة فى كتب النوادر والأخبار . . حيث تلعب الملاذ الجنسية دوراً أساسياً فيها . . وتمثل الرغبة فى الاستمتاع بالمحبوب الدافع الأول للمغامرة . . والتعرض للأهوال . . وأيضا بذل المال .

ويميل بعض المفكرين الى اعتبار قصص الحب العذرى صورة شاحبة للحب المحروم . . واعتبار القصص الشعبى صورة صارخة للحب المنهوم !

كما اهتم دارسو الحب بعلاماته : من نحول الجسد . . الى الكمد . . فالحزن . . فالاكتئاب . . وكذا إدمان النظر . . والاقبال بالحديث . . والانبساط الزائد . . والتضايق فى المكان المتسع . . واستدعاء صوت المحبوب . . ومعرفة أخباره . . والوحدة . . والتأمل . . الى نهاية ما يصدر عن الحواس والعقل والقلب . . فى إطار المحبوب . . وكأن المحب هنا ينظر للعالم من عيون محبوبته فحسب .

وقد شغف العرب منذ أقدم العصور بنوع العشق العفيف . . وكانوا يقدرون أصحاب هذه العاطفة . . وكانوا يُعرفون بالعشاق المتيمين والعشاق العذريين . . والعشاق الغزليين فكان تراثهم أروع ما ورثه العرب للأجيال المتعاقبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحينما جاء الاسلام قدّر الحب والمحبة . . فى إطار التعفف . . فقد عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم من بين من يظلهم الله فى ظله يوم القيامة « . . . . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها . . فقال : إنى أخاف الله ! »

بل يروى عن الرسول الكريم قوله :

— من عشق . . وكتم وعفّ . . وصبر . . غفر الله له وأدخله الجنة . .

وعنه أيضا . . أنه قال :

— من عشق . . فكتم . . وعف فمات . . فهو شهيد

والعذريون يذعنون للحب باعتباره قضاء من الله . . ويصبرون على تباريحه راجين عليه الثواب ، بل يرون أنفسهم مجاهدين أبطالا . . فلا يبغون عن هذا الجهاد حولا . . بل يرجون منه المزيد . . فإذا ماتوا . . ماتوا شهداء . .

ومن ثم يقترب العشاق على هذه الحال من حب المتصوفة . . حيث لجأ بعض الصوفية الى الوصول الى الذات العلية عن طريق التأمل فى الجمال الجسمانى . .

ولنقرأ لابن الفارض قوله :

أيا كعبةَ الحسن التى لجمالها ... قلوب أولى الألباب لبَّتْ وحجَّتِ
بريق الثنايا منك أهدى لناسنا ... بريقِ الثنايا . . فهو خير هديةِ
وأوحى لعينى أن قلبى مجاورٌ ... حماكِ فتاقت للجمال . . وحنتِ
جمال محياك المصونُ لثامُه ... عن اللثم فيه عدتُ حياً كميتِ

ألا نرى هنا هذا القرب فى كلا العشقين . . العشق الانسانى والعشق الالهى .

وقد يؤدى الحرمان والصد الى الجنون . . أو على حد قول مُلَيْح الهذلى :

فلم أرَ مثلى يستجنُّ صبابةً ... من البين أو يبكى الى غير واصلِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالجنون هنا يعني زوال العقل أو فساده . . ثم هو يؤدى إلى الموت . أو يؤدى الى السلّو والبعاد !

والجنون له صوره . . ومؤيدو وجوده فى العشق . . فقد وصفه الكثيرو ومنهم المتصوفة وجعلوه أعلى مرتبة للعشق . .

إن معانى الجنون ـ فى اللغة ـ الاستتار . . والصوفى مستتر عن الخلق . نافر منهم . . مشغول عنهم بتأملاته ومواجيده . .

وكذلك العشاق . . يستترون عن أقوامهم . . نافرون منهم . مشغولون بتأملاتهم ومواجيدهم . .

والعشاق المجانين فى التراث العربى كثيرون . . فيهم من اشتهر بجنو وفيهم من لم يشتهر . . لكنهم يجمعهم خيط واحد . . يحرم على العاش عشقاً فى غير محبوبته . . وربما يحرم على نفسه شعراً فى أى غرض آخر غ العشق . . ويغلب على العشاق المجانين الشعر . . فهو أقرب طرق التع عن الاحساس الصادق . . والخيال والتأمل . . وإفراغ الشحنة العاطفية أبيات . .

ويقترب الشعر من الجنون !

فالشعر فن . . والفن لون من ألوان التمرد والثورة على المألو والواقع . . انه يضرب بجناحيه فى آفاق أسمى وأبعد من الأرض .

هو إذن ضرب من الجنون . .

وهم يقولون : الفنون . . جنون . .

لكن الشعر هو (تفريغ) نفسى لأحلام الشاعر الذى لا يستطيع يجسدها . . ومن ثم تتداخل دائرته مع دائرة الجنون . .

ويجمع بين العشاق المجانين ذلك الحب البائس المحروم الذى يملك ع حياته وأشعاره حتى الموت . .

وهذه الرحلة التى بين يديك أيها القارىء العزيز . . تحاول أن تطو بهذه النماذج الذى أشهرها وأغفل بعضها التاريخ العربى . .

وقد حرصت فى اختيار العاشقين ثلاثة شروط مهمة : أولها ان يغ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاشق طوال حياته لا يعشق الا معشوقته . . والثانى ان يموت دون عشقه . . والثالث ان يكون شاعرا يسطر قصته فى قصائده . . فبغير الشعر لم يكن يصلنا عنه خبر .

ولا ندعى أنها رحلة تطوف بكل النماذج . . وإنما هى تنتقى وتختار وتصطفى وتنقى وتقدم فى صياغة سلسة شاعرية الى حد كبير . . تجمع بين هؤلاء المتيمين وهؤلاء العذريين . . مؤكدين توحدهم فى الاحساس والعشق والجنون . . ولكن بصور مختلفة . . حرصنا على تنوعها بقدر الاستطاعة حتى لا تتكرر الصور نفسها . .

وقد حرصنا أيضا أن يقرأها الكبار والناشئة . . فى إصرار على تقديم التراث العربى لقارىء اليوم فى بساطة وتوثيق . .

ولا يحسب القارىء أننا تعجلنا فى شىء . . فمسئولية تقديم التراث ليست بالأمر اليسير . . لهذا كان رجوعنا الى المصادر والمراجع الموثوقة التي تروى وتختلف . . ولم نسلم بأية رواية أو أى أشعار إلا بعد أن يرتاح إليها وجداننا . . ويطمئن اليها ذوقنا وإحساسنا ، وهى مصادر ومراجع كثيرة تبدأ من أمهات الموسوعات الأدبية وتنتهى عند أحدث الدراسات . . والدواوين . . والأخبار . .

وبعد . . .

فهذا هو حصاد رحلة استغرقت جهداً واخلاصاً وحباً . . وجنوناً أيضا!

والله الموفق .

احمد سويلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجانين العشق العربى

تأليف

أحمد سويلم

المرقّش الأكبر
وصاحبته أسماء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكنَّ ببلدة وسكنتُ أخرى
وقُطِّعت المواثقُ والعهودُ
فما بالى أنى ويُخانُ عهدى
ومَا بالى أُصادُ ولا أصيدُ

المرقش الأكبر

١

واحد من أقدم العشاق المتيمين الذين عاشوا العصر الجاهلى . . وضربوا مثلا فى الحب العفيف . . ومات دون حبه . . فكان شهيدا . .

وربما تشابهت مع قصته قصص أخرى فى العصور التالية ـ خاصة قصة عروة وعفراء ـ مما يدل على أن هذا العشق كان ثمرة الحياة الاجتماعية فى الجزيرة العربية . . بما تتميز به من قسوة وطغيان . . دفع هؤلاء العاشقين الى اختراق جدران هذه الحياة بلون من ألوان العاطفة الروحية . . والحب العفيف . . والتوحد مع المحبوبة . .

ومهما اختلفت أو تشابهت قصص الحب . . فيكفى أن بطلها هو هذا الانسان العربى الذى يقتحم بقلبه ووجدانه تلك البداوة الشرسة . . فيحيلها الى واقع جميل أو هو يبكى على فقدان هذا الواقع . . ولهذا فإن خيال هؤلاء الشعراء يختلف كثيراً عن خيال غيرهم من الشعراء . . فى أنهم يلونونه بلون واحد: عشق واحد . . ومعشوقة واحدة . . ومن ثم فإنهم يخوضون ويكتشفون ويتوحدون . . ويقفون حياتهم كلها وأشعارهم كلها على هذا الواقع المرير . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمرقش الأكبر أحد من قال الشعر فلقب بما جاء فى شعره . . فقد أنشد يوما قوله :

النشرُ مسكُ والوجوه دنا ... نيرٌ وأطرافُ الأكف عنمْ
والدار وحشٌ والرسوم كما ... رقَّش فى ظهر الأديم قلمْ
لستُ كأقوامٍ خلائقهم ... نثٌ أحاديث وهتْك حُرَمْ

فلقب بالمرقش . . نسبة الى البيت الثانى

أما اسمه فهو عمرو أوعوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة والذى ينتهى نسبه الى بكر بن وائل . .

وهو عم المرقش الأصغر هذا الشاعر الذى لم يسلم قلبه أيضا من العشق كما ان المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد . .

والمرقشان كلاهما ومعهما طرفة كان لهم موقع فى بكر بن وائل وحروبها المشهورة مع بنى ثعلب تلك الحروب التى هى من أهم أيام العرب . .

وبالرغم من فروسية المرقش الأكبر . . وصلابة بأسه وقوته وشجاعته كان يمتلك قلباً ليس عصيا على العشق ، بل عاش فى شبه مأساة حقيقية جمعت أطراف حياته فى قبضة واحدة . . هى الحب المستحيل . .

وتجمع كتب التاريخ الأدبى أيضا على أن جل أشعاره كانت تمتزج بالفروسية والعشق معاً لصاحبته أسماء بنت عمه عوف بن مالك بن ضبيعة . . والذى يروى عنه ابن قتيبة انه أسر المهلهل فى حروب بكر وتغلب . . وبقى فى إساره الى أن مات . .

وكما ينشأ الأطفال . . نشأ المرقش وصاحبته أسماء . . فى جو البادية الحار بشمسه . . ودفء عواطفه . . وبراءة نظراته . .

ولم يكن العرب أهل حضر . . بل كانوا أهل رعى وزراعة وعمل . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهم يرعون إبلهم وأغنامهم . . ويزرعون فوق الربى ما استطاعوا . . ويعملون فى بعض الصناعات التى تتيحها لهم البيئة . .

ويشب الطفلان . . أمام أعين الجميع أصدقاء أحباء . . إلى أن جاء اليوم الذى دخل فيه المرقش على عمه عوف . . فرحب به وضمّه إلى صدره :

— أهلا بك يا ابن أخى . . إننى معجب بك شاباً فارساً مغيراً . .

قال المرقش :

— أيستحق هذا الشاب الفارس أن يخطب أسماء يا عماه . .

وبالرغم من أن المرقش وأسماء أمام الجميع لا يفترقان . . فإن أباها قد بدا وكأنه فوجىء بهذا العرض . . وأراد أن يهرب من المرقش بحجة مفتعلة . . فقال :

— اسمع يا ابن أخى . . تعلم كم أحبك وأوثرك على غيرك . . لكن أسماء ابنتى . . وأقرب أبنائى الى قلبى . . ولن أزوجك حتى يكون لك بأس فى قومك . . ومقام كبير لا يناله غيرك . .

— انه أمر يطول يا عماه . .

— هذا ما عندى يا ولدى . . ولك منى الوعد أن أحفظ أسماء لك .

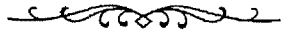

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢

إن الغريب فى مثل هذه القصص التى تتعلق بالقلوب . . أن يعد الآباء أبناءهم . . ثم يخلفون . . لأمر أو لآخر . . ربما طمعاً فى ثراء أو مقام أو حسب أو نسب . . ثم حين يتحقق ذلك لمن وعدوهم . . لا يفعلون شيئاً من أجلهم . . وإنما يدوسون على قلوب هؤلاء الصغار فيموتون بالعشق المقدس . .

لقد وعد أبو أسماء ابن أخيه المرقش بأن يحفظها له حتى يحقق البأس والمال والشرف والرياسة . .

ولم يكن هذا صعباً على فارس مثل المرقش وإن كان يتطلب وقتاً . .

ومن ثم انطلق المرقش فى رحلة طويلة الى بعض ملوك اليمن يمتدحهم وينال منهم العطايا والشرف . .

ويطول الغياب . . !

وتلعب الأقدار لعبتها المتقنة . !

فقد أصابت عوفاً شدة فى ماله وحياته . . ومكث فى بيته حزيناً يائساً . . يكاد هو وأهل بيته يموتون جوعاً وحاجة . .

ويساعده أبناء قومه على استحياء شديد . . فقد كان عوف ذا مكانة فى قومه . . لا يمد يده الى أحد . .

وينسى عوف حكاية المرقش وابنته فى زحام هذه الشدة العسيرة . . الى أن جاء يوم . . وطرق بابه أحد رجال بنى مراد . .

ويعلم هذا الرجل حاجة عوف الى المال . .

ويجدها فرصة سانحة ليعرض عليه مائة من الابل مهراً لأسماء . .

ترى هل يتردد الأب وهو فى أشد الحاجة الى المال وقد اقترب من باب داره . . وماذا يفعل مع وعوده الماضية التى أوثقها مع المرقش . .

ولابد أن المرقش سوف يعود يوماً منتصراً ومحققاً ما أراد له أبو أسماء فهو فارس لا يشق له غبار . . والفارس قادر على نيل ما يريد . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يفكر أبو أسماء فى كل هذا .. فقد ضاق فكره .. وتحجر وجدانه .. وحدقت عيناه فى ثراء هذا الرجل الغريب عن قومه ..

رحب عوف بعرض الرجل الثرى .. وبالابل المائة .. لابد أن باب الخير قد انفتح .. وانفرجت تلك الحلقة الضائقة عليه وعلى أهل بيته ..

ويزف عوف ابنته أسماء الى زوجها الثرى ..

ربما أخرست التقاليد العربية لسان أسماء فى الدفاع عن حبها للمرقش فرضيت بقضاء الله .. ورضيت أن تعيش مع زوجها ارضاء لأبيها .. لكن قلبها لايزال مع هذا الغائب البعيد ..

ماذا تخبىء لك الأيام أنت أيضا أيها العاشق الغائب .. وأنت تعيش ليل نهار مع طيف أسماء وتنشد لها دائما :

أغالبُك القلبُ اللجوجُ صبابة ... وشوقاً الى أسماء أم أنت غالبُه
يهيم ولا تعيا بأسماء قلبُه ... كذاك الهوى إمراره وعواقبُه
لأسماءُ هم النفس إن كنت عالما ... وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه
إذا ذكرتها النفس ظلت كأننى ... يزعزعنى قفقاف ورد وصالبُه

ماذا ينتظرك أيها الفارس العاشق حينما تعود ؟ هأنتذا محير القلب فى عشق أسماء .. فقد أصبحت أسماء كل شىء فى حياتك .. ونجوى فؤادك التى لا يرضى سواها .. وانه ليذكرها فيضطرب جسده .. وترتعد أطرافه كأنما مسّته حمى شديدة ..

إنها شكوى العاشق الحالم .. مشوبة بالجنون والجراح ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣

ويعود المرقش ومعه مال كثير . .

عاد منتصراً مزهواً كما أراد له عمه عوف . .

تشرق البسمة على وجهه . . يلوح بسيفه . . ينشد أشعاره فى معشوقته أسماء . .

وكان أبو أسماء قد أفاق من تلك الغيبوبة الشديدة . . فأدرك خطأه وخطيئته وجمع أهله وبعض أصدقائه يشاورهم فى أمر المرقش إذا عاد . .

ويطول الحوار . . وتعلو الأصوات ـ لكنها تخمد فى النهاية على حل غريب . . لقد اجتمع الحاضرون على ألا يخبروا المرقش بما حدث . . بل يخبرونه انها ماتت . .

ولكى تتقن اللعبة . . ذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه . . ولفّوها فى ملحفةٍ وأودعوها القبر . .

وها هو ذا المرقش يدخل على قومه سيداً فارساً صاحب بأس ومال . .

— هأنذا يا عم . . لم أغب كثيراً . . عدت لك بأكثر مما أردت . .

— عودة حميدة يا ولدى . . ومرحباً بك . . لكن !

قاطعه المرقش وعيناه تتسعان بالدهشة والتوجس :

— لكن ماذا يا عم ؟

ويفتعل أبو أسماء البكاء . . ويفتعل إخوة أسماء الحزن . .

— لقد ماتت أسماء يا ولدى . . وهذا أمر الخالق . .

— ماذا تقول . . متى . . كيف . . أين ؟

أصاب المرقش هوس شديد . . إن هذا يعنى ضياع كل شىء من هذ العاشق . . فما فائدة الحياة بعد أسماء . .

— دلونى على قبرها !

وقبل أن يفيق من جنونه . . صحبه الجميع الى قبر الكبش الذى فيه دفنوا عظامه . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال أحدهم :

— أتريد أن تنبشه لتصدّقنا . .

لم يُعر المرقش كلامه أى اهتمام . . فقد ثبّت عينيه على القبر . . وغاب فى أحلامه المستحيلة . .

ويحاول الجميع أن يخرجوه من همه دون جدوى . . فانصرفوا . . وتركوه وحيدا . . مع هذا القبر الموهوم . .

وظل المرقش يقضى يومه كله بجانب القبر . . يبكى أحلامه وعشقه . . ثم إذا حل الظلام عاد منهوكاً الى داره لا يذوق النوم . .

ويصيب المرقش نحول شديد . . وهم أشد . .

وذات يوم . . كان المرقش يستند إلى القبر وقد تغطى بثوبه . . وعلى بعد قريب منه يلعب ولدا أخيه بكعبين لهما . . وهو يتابعهما . . حتى اختلف الولدان على أحد الكعبين واختصما . .

وهنا قال أحدهما الى الآخر :

— هذا كعبى . . منحنى إياه أبى من الكبش الذى دفنوه فى هذا القبر . . وقالوا إذا جاء المرقش أخبرناه انه قبر أسماء . .

ويدرك الولد الآخر فداحة الموقف ويحاول أن يضع يده على فم أخيه الصغير . . لكن لا جدوى . . فقد صكت أذنى المرقش هذه الكلمات . . فنهض من مكانه وكأنه أفاق من سبات عميق أو لدغته أفعى . .

— تعال أيها الولد . . ماذا تقول ؟

رد الولد الآخر : لا شىء يا عم . . إنه يخّرف . .

قال المرقش : إصمت أنت . . لا حاجة لى لكلامك . .

وأمسك المرقش بيد الصغير . . وأخذ يداعبه ويلاطفه . . حتى سمع منه القصة كاملة . . فالصغار لا يعرفون الكذب !

وأطلق الصغير . . وغاب فى تأمل عميق

ثم بدأ يضحك بصوت عال مجنون :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— ما أغبانى .. وما أشقانى بخيبتى .. لن يجدى خلق الفارس فيك يا مرقش .. عليك الآن أن تعرف الحقيقة ..

لم يجتهد المرقش كثيراً فى معرفة الحقيقة .. فقومه جميعهم يعرفونها .. لكنه حينما دخل على عمه .. واجهه مواجهة شديدة .. فلم يستطع إلا أن يبوح له بكل شىء ..

— لعنة الله على المال يا عماه .. أتبيعنى من أجل المال .. أتحنث فى قسمك وتخلف وعودك من أجل بريق المال ؟

ويبدأ المرقش فى مرحلة جديدة .. انه فارس يريد أن يستعيد ما فقده فى ساحة القتال !

٤

ويعد المرقش نفسه للرحيل ..

لم يرحل وحده .. بل أخذ معه أجيراً من غفيلة كان عنده وزوجته الأجيرة وركب الثلاثة الى حيث يكون المرادى ـ زوج أسماء .

كم أنت طويل أيها الطريق ..

لكن المرقش لا يثنيه طريق طويل .. وان كان الأجيران قد رحلا معه على مضض ..

وكان الغفلى وزوجته يعدان طعاماً للمرقش .. لكن المرقش كان قليل الطعام .. دائم التأمل والغياب .. ان كل ما يبغيه أن يبلغ أسماء !

وقرب نجران .. مرض المرقش ..

وكان لابد أن يستريح كثيراً .. فلم يعد لديه قدرة على ركوب دابته فنزلوا كهفاً ومكثوا فيه أياماً ..

لم يكن الكهف بعيداً عن ديار أسماء .. لكنه الآن أمسى بعيد المنال ..

وقد فقد المرقش القدرة على التحرك والاستمرار فى الرحيل ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وينشد المرقش مأساته قائلا :

سكنَّ ببلدة وسكنت أخرى ... وقطعت المواثق والعهودُ
فما بالى أفى ويخان عهدى ... وما بالى أصاد ولا أصيدُ
ورب أسيلة الخدين بكرٍ ... منعمةٍ لها فرع وجيدُ
لهوتُ بها زماناً من شبابي ... وزارتها النجائب والقصيدُ
أناس كلما أخلقت وصلاً ... عنانى منهم وصلٌ جديدُ

وساءت الحالة الصحية للمرقش . . وعجز صاحبا المرقش عن مداواته ومساعدته . . إلى أن جاء يوم تحدث الأجير الغفلى إلى امرأته على مسمع من المرقش :

— كفانا جهداً مع هذا المريض الذى لن يقوم أبدا . . اتركيه . . فقد هلك سقما وهلكنا معه ضرا وجوعا . . ما الذى يحملنا على الجلوس هنا .

وترد عليه امرأته :

— من الخطأ وعدم الوفاء أن نتركه هنا سقيماً هكذا للوحوش والضوارى . .

قال :

— ما حيلتى . . لقد سئمت . .

وأخذت المرأة تبكى وتندب حظها . . فهى لا تريد أن تترك سيدها فى هذه الشدة . .

ويتحاور الزوجان . . ويعلو صوتهما . . فيصرخ الزوج فى زوجته :

— إذا لم تطيعينى . . تركتك وذهبت عنك . .

وأدرك المرقش أن صاحبيه راحلان لا محالة . . وأنهما تاركانه وحده فى هذه القفار الجرداء . .

فاقترب من رحل الأجير وكتب عليه هذه الأبيات . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يـا صاحبيّ تلّبثـا لا تعجلا ... إن الرواح رهين ألا تفعلاً
فلعـل لُبثكـما يفـرط سيئـاً ... أو يسبقُ الإسراع سيبا مقبلا
يا راكباً إمـا عرضت فبلّغن ... أنس بن سعد إن لقيت فحرملا
لله دركـما ودر أبـيـكـما ... إن أفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشـاً ... أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلا
ذهب السباع بأنفه فتركنه ... يَنْهَشْنَ منه فى القفار مجدلا
وكـأنمـا تـرد السبـاع بشلوه ... إذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

واستراح المرقش بعد أن كتب هذه الأبيات وكأنه يوجهها إلى أخيه حرملة حينما يقرؤها . .

ويعود العبدان الأجيران إلى قوم المرقش . . ويخبران الجميع أن المرقش قد مات ويشك حرملة أخو المرقش فى هذا الخبر . . فأخذ يفتش الرحل . . ويقلبه حتى عثر على هذه الأبيات فقرأها . . وفهم مقصدها .

وهنا قص العبدان على حرملة حقيقة الخبر . . فقتلهما بعد أن وصفا له موضع الكهف الذى فيه المرقش .

٥

وكان المرقش قد استطاع بعد رحيل العبدين أن يقترب من باب الكهف ويطل على الصحراء والشمس المشرقة .

وفجأة لاحت على ربوة قريبة أغنام ترعى . . أخذت تجرى وتلعب حتى اقتربت من الكهف . . فأقبل الراعى يسوق أغنامه الشاردة فوقعت عينه على المرقش وقد ساءت حاله .

ويقترب الراعى من المرقش . . ويعرف منه حكايته .

لقد كان الراعى يعمل عند زوج أسماء . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أية صدفة تلك التى ساقها القدر إلى هذا العاشق المجنون . . لابد أنه قريب من أسماء . . ولابد أن الأوان قد آن للقاء المرتقب .

دبت الدماء فى عروقه مرة أخرى . . وقد منحه الراعى بعض الطعام . . وخفق قلبه لمعرفة أخبار حبيبته أسماء .

ثم سأل المرقش هذا الراعى الطيب :

— أتستطيع يا صاحبى أن تكلم أسماء امرأة صاحبك . .

قال الراعى : لا ياسيدى ولا حتى أقترب منها . . لكن تأتينى جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً وتذهب بلبنها .

وتورد وجه المرقش . . ولمعت فى ذهنه فكرة :

— إذن خذ خاتمى هذا . . فإذا حلبت فألقه فى اللبن . . فإن سيدتك أسماء ستعرفه .

وتردد الراعى خائفا . . لكن المرقش طمأنه إلى أن ما يفعله هو خير له بل سوف ينال مكافأة على ذلك لم ينلها راع قط .

ويقتنع الراعى بعد حوار طويل .

فلما جاءت الجارية إلى الراعى بالقدح وحلب لها العنز طرح فيه الخاتم .

وانطلقت الجارية إلى أسماء وتركت القدح بين يديها وانصرفت . . فلما سكنت رغوة اللبن أخذته وشربته . . حتى قرع الخاتم ثنيتها . . فأخذته بأصابعها وحدقت فيه . . وأدركت أنه للمرقش . .

وهنا استدعت الجارية وسألتها فى صراخ :

— ما هذا الخاتم ؟

قالت الجارية فى خوف شديد :

— ليس لى به علم ياسيدتى . . أقسم لك

قالت أسماء :

— إذن اذهبى إلى سيدك ودعيه يحضر حالا . .

ويحضر زوجها فى فزع شديد فدخل عليها قائلا :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— لم دعوتنى يا أسماء .. خيرا ؟

قالت له : ادع عبدك راعى غنمك ..

فدعاه الرجل .. فقالت :

— اسأله الآن .. أين وجد هذا الخاتم ؟

فقال الراعى فى براءة وصدق :

— وجدته مع رجل فى كهف قريب قال لى اطرحه فى اللبن الذى تشربه سيدتك أسماء .. فإنك مصيب به خيرا .. ولم يخبرنى من هو .. ولقد تركته فى الكهف يشرف على الموت .

وهنا صمتت أسماء عن التعليق ..

ويسألها زوجها : لمن هذا الخاتم .. ومن هو هذا الرجل ..

فترد أسماء فى صوت خفيض :

— إنه خاتم المرقش .. وأرجو أن تعجل فى إحضاره الآن وتنقذه من الهلاك .

ركب الزوج فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى وجداه .. فحملاه إلى البيت وهو فى نازعه الأخير .

لقد فتح عينيه على أسماء ..ودق قلبه من جديد دقات معدودة .. وجُنّ بملمس يدها .. لكن القدر لم يسعف هذا العاشق المجنون فمات عند حبيبته أسماء ودفن فى أرض مراد .

وهكذا تطوى صفحة من صفحات العشق المجنون .. الذى يسلب العاشق عقله ووجدانه وأحلامه جميعا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرقِّش الأصـــغر
ومعاقبة الذات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفاطم إن الحب يعفو عن القِلى
ويُحشم ذا العِرض الكريم المجاشما
ألا فاسلمى ثم اعلمى أن حاجتى
إليك .. فردِّى من نوالك فاطما
أفاطم لو أن النساء ببلدةٍ
وأنت بأخرى لاتبعتُك هائما

المرقش الأصغر

١

لعلنا نكون منصفين حينما نقرر أن قصص الحب المجنون ـ على قلتها ـ فى العصر الجاهلى كان لها مذاقها الخاص الذى قد يختلف عن مثيلاتها لدى الشعراء العذريين .

فما كانت تمليه التقاليد .. وظروف الحياة .. وكثرة الصراعات والحروب .. جعلت مثل هذه القصص تأخذ لوناً خاصًّا .

كما نلاحظ أيضا أن السبب فى قلة هذا النوع من القصص يعود إلى أسباب كثيرة منها زحام الأغراض الشعرية الأخرى وأسبقيتها .. ومنها أيضا أن التدوين والتسجيل فى هذا العصر لم يكونا على الشكل الذى يرصد ويفيد هذا اللون بعكس القصيدة التى كان الرواة يحفظونها من فم صاحبها ويرددونها بالسليقة على امتداد الجزيرة العربية .

وبالرغم من هذا كله فإن القصص الغرامية كانت فى العصر الجاهلى حقيقة ثابتة من حقائق العصر الأدبية .. مثلت واحدة من أجناس الأدب .. بل نظر مؤرخو الأدب إليها بأكثر مما نظروا مثلاً إلى الأساطير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأمثال والأوابد والأيام .. والأخبار وغيرها .

وقصة المرقش الأصغر واحدة من تلك القصص التى لم تهملها كتب الأدب العربى .. وتكاد تجمع على تفاصيلها وأشعارها بلا خلاف كثير .

وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيْعة .. وهو ابن أخى المرقش الأكبر صاحب أسماء .. وهم عم طرفة بن العبد .. وأشعر المرقَشَيْن وأطولها عمرا .. وأحد العشاق المشهورين وفرسانهم المعدودين .

وحينما يكون العاشق شاعراً .. تذيع أخباره من خلال شعره .. فإذا جمع إلى الشعر الفروسية .. اكتملت حلقات الشهرة .. والفتوة العربية .. ليحارب بالكلمة والسيف .. ويقدره المجتمع بأكثر من كونه شاعراً فحسب .

وقد كان للمرقش الأصغر صولات وجولات فى بكر بن وائل وحروبها مع تغلب ويصفه معاصروه بأنه كان من أجمل الناس وجهاً .. وكان شجاعاً فتيا .

وقصة المرقش الأصغر هى قصة الفارس العاشق .. حيث تحولت فروسيته من ميدان القتال إلى فروسية العاطفة الصافية .. حيث تتلون بالرثاء النفسى .. ومعاقبة الذات والنوّح والدموع والندم جميعا .

وتبدأ القصة حينما وقعت عيناه على هند بنت العجلان جارية فاطمة بنت المنذر .. فأعجبته .. وتعلق بها قلبه .

وكان المرقش راعيا لا يفارق إبله .. وكان يقيم عند الماء ويترك إبله ظمأى .. وينطلق إلى بنت العجلان فيقضى عندها ما يشاء من الوقت .. ويعود والشعر على فمه ينثال سهلاً ليناً معبراً صادقاً .

أمن رسم دار ماءُ عينيك يَسْفَحُ ... غدا من مُقام أهلُه .. وتروحوا
أمن بنت عجلانَ الخيالُ المطرَّحُ ... ألمَّ .. ورحْلَى ساقطٌ متزحزحُ
بأطيب من فيها .. إذا جئت طارقا ... من الليل .. بل فوها ألذُّ .. وأنصح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويظل زمناً يعشق هنداً . . ويقول الشعر ويتناقله الرواة هنا وهناك .

٢

وكان من الممكن أن تستمر الأحداث هكذا سهلة رخية بلا صعاب بين الحبيبين . . فالمرقش الأصغر شاعر فارس مرموق فى قبيلته . . وهند جارية لا طائل منها ولا خوف على السادة من عشقها للمرقش .

لكن أمراً ما حدث . . حول مجرى القصة .

فقد كانت فاطمة بنت المنذر تجلس فوق قصرها (بكاظمة) فتنظر إلى الناس . . وكان على هذا القصر حرس شديد لا يسمحون لأحد بالدخول أو الاقتراب من القصر إلا هند بنت العجلان .

ولاحظت فاطمة أن فتى جميلاً دخل عند هند فبات ليلته حتى الصباح . . فأرادت أن تتقصى الأمر من هند فى الصباح .

وجاءتها هند وعليها أثر من الإرهاق . . وتجردت أمام مولاتها . . فلاحظت آثاراً فوق فخذيها كأنها آثار سياط . . فسألتها : ما هذا يا هند . .

فأجابت : إنها آثار رجل بات معى الليلة . . من شدة حفزه إياى عند الجماع .

قالت فاطمة : أهو هذا الفتى الجميل الذى دخل بيتك عشية أمس .

قالت : نعم ياسيدتى . . قعد عن إبله وكان يرعاها . . وبات عندى .

قالت فاطمة : أقول لك شيئا تختبرين به وفاءه ورجولته . . إذا جاءك غدا . . فقدمى له مجمراً واطلبى منه أن يجلس عليه . . وأعطيه سواكاً . . فإن استاك به أو رده فلا خير فيه . . وإن قعد على المجمر أو رده فلا خير فيه .

فجاءها المرقش فى الغد . . وأتت له بالمجمر وقالت له : اقعد عليه . . فأبى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال : قريبه منّى . . فدخن لحيته وأبى أن يقعد عليه . . وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به !

ثم أسرعت هند إلى فاطمة تخبرها بما جرى . . فازدادت به شغفا وقالت : ائتينى به فى الغد . . واحتالى فى ادخاله علىّ .

كان ابن المنذر قد رصد حرس القصر حتى لا يدخل على ابنته فاطمة رجل غريب . . وكان يرسل فى صباح كل يوم من ينظر فى أثر من دخل إليها . . ويعود إلى الملك قائلا : لم أر إلا أثر بنت العجلان . . فيطمئن !

ماذا تفعل بنت العجلان فى رغبة مولاتها فاطمة . . وكيف تدخل عليها المرقش الأصغر . . لابد أن آثار أقدامه تختلف عن آثار قدميها .

وتمكنت أخيراً من الوصول إلى حيلة ذكية . . لا ينتبه إليها الحرس ولا خبراء الأثر .

ويظل المرقش فى اليوم التالى يرعى إبله . . ويضحك مع أصدقائه . . وكان بينهم صاحب أثير يقال له : عمرو بن مالك شديد الشبه به لا يفترق عنه إلا بغزارة شعر جسده . . وكانا قد تعاهدا على ألا يكذب أحدهما على الآخر . . ولا يخفى أحدهما عن الآخر شيئا .

٣

ويجىء موعده مع هند . . فيترك إبله وأصحابه إلى بيت هند . . فتخبره أن مولاتها تدعوه إلى بيتها الليلة .

فاطمة بنت المنذر تدعو المرقش . . وحبيبته هند هى الواسطة . . وهى تفعل ذلك راضية ومتسامحة .

وتثور فى داخل المرقش أفكار متضاربة . . تنتهى أخيراً إلى فرحة داخلية بلقاء فاطمة . . تلك التى لا يدخل إليها أحد . . لكن كيف !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد حملت بنت العجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب . . وأدخلته إلى فاطمة ليبيت عندها . . ويظل طوال الليل كأنه فى حلم جميل .

وتحمله بنت العجلان فى الصباح إلى خارج القصر . . ويبعث الملك كعادته من ينظر فى آثار الداخلين إلى ابنته فاطمة . . ويعودون إليه قائلين :

— لقد نظرنا أثر بنت العجلان وهى مثقلة .

أى أن أقدامها قد انغرزت كثيراً فى الرمل . . لثقل جسمها .

ويضحك الملك . . غير عابىء بهذا الأمر المختلف . . وأخذ الحاشية يسخرون : ربما حملت من وراء ظهورنا . . أو ربما كانت تحمل شيئا ثقيلا إلى سيدتها .

ويظل المرقش يذهب إلى فاطمة كل ليلة عن طريق بنت العجلان فيبيت عندها حتى الصباح . . حتى علق كل منهما بالآخر . . وهاما عشقا وجنونا .

ويسأله صديقه يوماً ما الذى تفعله ياربيعة . . ألم نتعاهد عهداً ألا تكتمنى شيئاً . . ولا أكتمك . . ولا نتكاذب ؟

وحاول المرقش أن يراوغ صديقه . . لكن ما بينهما من عهد جعله يقص عليه الخبر . . وصاحبه يسمع فى دهشة وإثارة .

ثم قال له عمرو بن مالك : بحق ما بيننا من صداقة . . لن أرضى عنك ولن أكلمك أبداً حتى تدخلنى على فاطمة . . فأنا أشبه رجل بك . . ولن تفطن لشىء يختلف لدى عنك . . وحلف على أن يكون هذا سرًّا بينهما لا يبوح به .

ولم يكن أمام المرقش إلا الوفاء بالعهد . . والإجابة لرغبة صديقه عمرو . . فانطلق به إلى المكان الذى كان يواعد فيه بنت العجلان فأجلس صديقه وانصرف . . وأخبره كيف يتصرف . . وكانا متشابهين بصورة شديدة التماثل .

وجاءت بنت العجلان فحملته كما تحمل مرقش . . وأدخلته على فاطمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصنع ما أمره به المرقش . . فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته . . فإذا به يرعد . . فدفعته بقدمها فى صدره وقالت :

— قبح الله سرًّا عند المعيدى !

ودعت فاطمة بنت عجلان فذهبت به خارج قصرها . . وانطلق إلى حيث يوجد المرقش . . وأدرك المرقش من هيئة صاحبه أن أمره قد افتضح فعض إبهامه فقطعها . . وانطلق إلى أهله هائماً على وجهه تاركاً إبله حياء مما صنع . . ولسان حاله يقول نادماً وحسرة :

وإنى لأستحيى فطيمة جائعاً خميصاً وأستحيى فطيمة طاعما
وإنى وإن كلّت قَلُوصى لراجم بها وبنفسى يا فطيم المَرَاجما

وهى قصيدة طويلة اشتهر بها يصور فيها وفاءه لفاطمة ويبين ما أصاب قلبه يوم الفراق ليستكمل المشهد بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها المختلفة . . ثم يصف ذكرياته معها . . ثم يستعيد مشهد الرحيل والندم .

وهو يصف فاطمة فيخلع عليها صفة الكمال . . شأن الشعراء العذريين فيما بعد الذين يرون فى معشوقاتهم كل شىء كامل وناضج وحسن .

وتحت وطأة التشاؤم والشعور بالندم والخيبة والإخفاق . . يستصرخ فاطمة الصفح . . وهو لا يكاد يصفح عن نفسه هو . . ويثقل على نفسه معاقب ذاته أن باح بسره لصاحبه .

٤

إن قصة المرقش الأصغر قصة فريدة فى بابها وفى عصرها . . وتؤكد معنى مهماً من معانى العشق . . فمهما باح العاشق بأسراره . . فإن هناك منطقة من الأسرار لا يجوز له أن يبوح بها . . إنها تلك المنطقة الخاصة التى يعرف هو وحبيبته تفاصيلها الدقيقة وألوانها . . وملامحها . . ولا يعرفها غيرهما . .

ومهما بلغت الصداقة بين الأصدقاء . . فهى لا تسمح بهذا البوح الذى يلقى بالعاطفة فى بئر الندم والإخفاق .

وتبقى قصة المرقش الأصغر مثلاً حيا على عقاب الذات والندم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

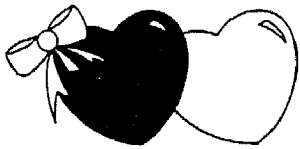

يزيد بن الطثرية
عاشق اليمامة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحبك أطراف النهار بشاشة
وبالليل يدعونى الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا
شمالا لقدما كنت وهى جنوب

يزيد

اهتم مؤرخو الأدب بهؤلاء العشاق الذين عاشوا فى بادية الحجاز . . باعتبار أن هذه المنطقة أكثر ثراء فى أحداثها وتاريخها . . على حين أهملوا كثيرا أحداث المناطق الأخرى .

وقصتنا هذه لم تذكر كثيرا لأنها حدثت فى بادية اليمامة . . تلك المناطق المهملة فى تاريخ العرب . . لكننا هنا نتجرد من شهرة المناطق والبوادى . . محاولين اكتشاف ما تحت القشور من ثراء وعطاء . . أما اليمامة فيحكى عنها القزوينى فى كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » قائلا :

« انها ناحية بين الحجاز واليمن أحسن بلاد الله وأكثرها خيرا ونخلا وشجرا وكانت قديما منازل طسم وجديس . .

وينسب اليها زرقاء اليمامة التى كانت ترى من مسيرة يوم وليلة والتى أنقذت قومها من خيل حمير . .

كما ينسب اليها مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى صدر الاسلام ! وكعادة أهل البادية كانوا يختلفون ويتصارعون حول مناطق الكلأ والرعى . . ثم يتصاعد الصراع ليشمل الأرض والحسب والنسب . . وتكثر الثارات والعداوات . . وكان هذا شأن قومى قشيرٌ وجرْم فى بادية اليمامة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان صاحبنا يزيد بن الصمة من قشير ، والطثرية أمه ، وهى امرأة من طثر أحد أحياء اليمن أو من عنز بن وائل اخوة بكر . . وكانت الطثرية مولعة بإخراج زبد اللبن . . فسميت بالطثرية . . وطثرة اللبن أى زبدته .

ويكنى يزيد أبا المكشوح فقد كان على كشحه « خاصرته » كى نار . . وكان يلقب بالموذّق . . لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه خاصة فى آذان النساء .

ومر زمان على قشير وجرم فى بلاء وحرب وصراع . . يتربص كل فريق بالآخر ويغيظ كل منهما الآخر فى الغزل بنسائه . . وانشاء الأشعار للنيل منه . . يتقاتلون على المرعى والأرض . . حتى فقد الناس الأمن . . والحياة الهانئة . . وتمسك السماء ماءها . . وتضن الأرض بخيراتها . . حتى أمحل الناس وجف الزرع والضرع . . ونفد المال من الأيدى . . واشتد الجوع . . وأجدبت الأرض وأشرف الناس على الهلاك . . فانطلق الناس يضربون فى البادية بحثا عن الرزق . .

وتسامع الناس أن السماء قد جادت على قشير . . فلم تجد جرم مفرا من اللجوء إلى قشير متناسين ما بينهما من ثارات وعداوات . . وينطلق بعض السادة من جرم إلى سادة قشير . . ويتحدث كبيرهم :

— لقد جئنا اليكم مستجيرين غير محاربين ولا متصارعين . .

قالت قشير :

— من أى شىء تستجيرون . .

قالت جرم : من الجدب والهلكة التى لم تبق لنا خيرا قط . .

وهنا يتغلب الخلق العربى . . ويتناسى الناس عداوات الماضى . . وتجير قشير جرما وتسالمهم . . وتمنحهم جانبا من أرضها الخصبة . . ويختلط القومان . . ويتسامران . . ويتقاربان . . ويتلاقى الشعراء . . بالشعراء . . والسادة بالسادة . . والكئوس بالكئوس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان فى جرم فتى يقال له ميَّاد . . وكان مشهورا بتغزله . . وكان حسن الوجه . . فارع القامة . . يأخذ بقلوب النساء .

وقد هيأله القرب بين القومين . . أن يذهب إلى القشيريّات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث . . فى غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعى ، وكان الغزل جائزا حسنا فى جرم . . ومكروها فى قشير . .

ولكن القشيرات كن من العزة والأنفة . . فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره . . ورفضن أن يجبنه على غزله .

ويعرف رجال قشير ذلك من نسائهم الغاضبات . بل قالت عجائز منهن :

والله لا ندرى أرعيتم جرما الرعى . . أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك على رجال قشير . . حينما عرفوا بحقيقة ما يفعله ميَّاد . . وتجتمع قشير للتشاور فى الأمر :

فقال بعضهم : عليكم أن تستأصلوا جرما من أرضنا .

وقال آخرون : قبيح والله قوم قد سقيتموهم مياهكم . . وأرعيتموهم مراعيكم . . وخلطتموهم بأنفسكم . . وأجرتموهم . . من القحط . . أن تفعلوا معهم ذلك . . وما هذا الرجل إلا سفيه من سفهائهم . . فليأخذواهم على يديه . . فإن فعلوا . . كفونا المشقة . . وان امتنعوا وأقروا ما كان منه . . يحل لكن ما تنوون عليه . ان امتنعوا وأقروا ما كان منه . . يحل لكن ما تنوون عليه . . ولا جناح عليكم لو تستأصلونهم . . ولاقى هذا الرأى صدى طيبا عند الجميع . . فما أن أصبحوا حتى ذهب بعضهم إلى جرم . . واجتمعوا بهم . .

قالت قشير :

— تعلمون أن الغزل لدينا مكروه . . وهو بدعة جئتم بها الينا . . فإن كانت سجية لكم فليس لكم لدينا ارعاء ولا اسقاء . . وعليكم الرحيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو تحاربكم .. وان كان افتتانا فانكروا على من فعله وازجروه .

قالت رجال من جرم :

— ماذا تقصدون .. وماذا حدث لكم ؟

قالوا : رجل منكم ظل يجر أذياله بين بيوتنا .. ولا ندرى ما يريد ..

وهنا قهقهت جرم وسخرت من جفاء قشير وعجرفتها ثم قالت :

— لعلكم تحسّون من نسائكم ببلاء .. فهل لكم أن تبعثوا إلى بيوتنا رجلا ورجلا ..

قالت قشير :

— والله ما نحس من بيوتنا إلا العفة والكرم .. وما البلاء إلا فيكم أنتم .

وتأزم الموقف بين الطرفين .

فقالت جرم إذن نبعث رجلا إلى بيوتكم يا بنى قشير .. إذا غدت الرجال وخلفوا النساء .. وتبعثون رجلا إلى بيوتنا .. ونتحالف ألا يتقدم رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ويخبرها بشىء .. لكى يظل ما نتفق عليه سرا !

ونلتقى فى العشية .. وقد أتى كل رجل بدليل أو علامة ممن كانت معه .. وهكذا شأن العرب تثور العداوات على أقل الأسباب .. ومن قبل كانت حرب البسوس .. وحرب داحس الغبراء . بلا سبب معقول .. فماذا حدث فى هذا الرهان الغريب ..

رجل من جرم يدخل إلى نساء قشير .. ورجل من قشير يدخل إلى نساء جرم .. ومن ينجح منهما فى اعطاء الدليل والحجة فقد نجح فى جرح عفة النساء وكرمهن .

لقد وافق الجميع على هذا الرهان .. وتحالفوا على ما اتفقوا عليه . فلم يخبر رجل زوجة ولا أختا ولا بنتا بما حدث .. بل تحالفوا على ألا يعودوا إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البيوت قبل العشية .

ويختار قوم جرم ميادا . . ليذهب إلى القشيرات مرة أخرى . . ويختار القشيرات يزيد بن الطثرية ليذهب إلى جرم . . فماذا كانت النتيجة . .

تتوقف الأحداث لدى القومين ساعات النهار . . وكل الناس يتوقعون ويتوهمون . . حتى جاء الليل .

أما ميادالجرمى فقد غدا إلى القشيريات . . وظل يدور بين البيوت لعل واحدة من نسائهم تستجيب .

وظل مرجوعا مقصيا لا يقترب من بيت إلا استقبله النساء بالحجارة وقطع الحديد . . وهو سعيد بما يفعلن يظن أنهن بهذا يطلبنه . . حتى أجهده العطش والتعب فانصرف حتى جاء إحدى الأشجار فى منتصف النهار فتوسد يده ونام فى ظلها حتى بعد الظهيرة .

ويستيقظ مياد بعد أن أخذ راحته . . وسكن بعض مافيه من ألم الضرب والعطش . . ثم اقترب إلى ماء فعب منه ما شاء .

وأسرع مياد إلى القوم . . لعله يصل قبل يزيد . . فوجد أَمَةً ترعى غنما . . فأخذ برقعها . . وانطلق إلى القوم . . وصاح فيهم :

— هذا برقع واحدة من نسائكم يا بنى قشير . .

طرح البرقع بين أيديهم . .فأدركته الأمة صارخة وتعلقت ببرقعها واستردته . . فخجل مياد منفعلته خجلا شديدا . .

. . . . . .

هذا ما كان من أمر مياد مع القشيريات . .

أما ما كان من أمر يزيد مع جرم . . فقد غدا إلى الجرميات وكان حسن الوجه رقيق الحاشية . . فاستقبلته الجرميات بأكرم استقبال . . لا يصير إلى واحدة منهن إلا افتتنت به أخرى وتابعته وطلبته إلى بيتها ومنحته دليلا على أن يعدها ألا يدخل إلى غيرها . . فيقول لها :

— وأى شىء تخافين وقد عاهدتك وليس لأحد غيرك فى قلبى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نصيب . . وظل يزيد على حاله تلك حتى ما بعد العصر . . وقد جمع من القشيريات براقع وأساور وأقساطا وغيرها ثم قصد القوم وهو شبعان مدهونا مكحولا مرجل الشعر واللمة .

ويصل يزيد إلى القوم وقد غرق مياد فى خجله وخيبته . . وكاد القوم أن ينصرفوا فنثر بين أيديهم البراقع والأساور والأمشاط وغيرها . . وقد حلف القوم ألا يعرف رجل شيئا لامرأته إلا التقطه .

واسودت وجوه جرم . . وأمسكوا أيديهم عن مدها إلى شىء . . لكن قشير قالت :

— ان بيننا عهودا ومواثيق . . فمن شاء أن يخلف عهده فليمسك يده .

وهنا بسط كل رجل يده إلى ما عرفه من الأشياء والتقطه خجلا . . لكنهم تفرقوا على عداوة وحرب . . قائلين :

— هذه مكيدة يا قشير . .

فقال يزيد بن الطثرية فى ذلك :

فإن شئت يا مياد زرنا وزرتم ... ولم تنفس الدنيا على من يصيبها
أيذهب مياد بألباب نسوتى ... ونسوة مياد صحيح قلوبها

وكانت سخرية صريحة من يزيد حاول مياد أن يرد عليها قائلا :

لعمرك إن جمع بنى قشير ... لجرم فى يزيد لظالمونا
أليس الظلم أن أباك منا ... وأنك فى كتيبة آخرينا
أحالفه عليك بنى قشير ... يمين الصبر أم متحرجونا

وانصرف القومان على حرب . . وثارات . . وعداوات . . واتصلت الأشعار من الطرفين تعاود رسالتها . . وتدافع عن قومها . . وتهجو القبيلة الأخرى . . زمانا طويلا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن شيئا ما هبط بيزيد ..أبعده عن هذه الحروب وأشعارها وجعله يغير مجرى أشعاره !

كان يزيد وهو يمارس رهان قومه .. ينتقل من امرأة إلى أخرى من الجرميات .. حتى بلى بعشق جارية من جرم فى ذلك اليوم يقال لها : وحشية وكانت من أجمل النساء وأحسنهن .

لكن وما حدث بين قشير وجرم حال دون ذلك التواصل الذى تاق اليه يزيد .. وحاول يزيد أن يصل وحشية .. لكنه لم يستطع .

ويبلغ به الشوق والعشق مدى كبيرا .. حتى أشرف على الموت واشتد به الجهد .. ولم يجد أمامه إلا ابن عمه خليفة بن بوزل يشكو اليه ما وصل اليه فدخل عليه وقال :

— يا ابن عمى .. لقد عشقت وحشية .. وأصابنى سهمها فى مقتل .. وتعلم أنى ليس لى اليها من سبيل .

قال له : أعلم هذا يا ابن عمى .. وأرى أن التعزى أجمل .. وليس من العقل أن تقتل نفسك .. وتأثم بربك .

قال يزيد :

— ليس لى مطمع فى الحياة إلا وحشية .. فإن كنت تريد لى الحياة فاجعلنى أراها .

قال خليفة :

— وما العمل يا يزيد .. وكيف الحيلة .

قال يزيد : تحملنى اليها يا ابن عمى .

فحمله خليفة .. وأوهمه أنه ذاهب إلى وحشية .. فقد كان من الصعب أن يصل اليها فى قومها ..

ويذهب عقل يزيد .. ويغيب عن وعيه كثيرا .. فيذكرون له وحشية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيفيق على اسمها . . ويتخلله الأمل فى لقائها . . ثم ما يلبث أن يشتد به الوجع ويصيبه اليأس .

وظلا على تلك الحال من قوم إلى قوم . . حتى بلغا بعد زمن طويل حى وحشية . . وهناك لقيا رعاة الحى . . وأخذا يتقصيان . . ويسألان عن راعى وحشية .

ويلقى خليفة غلام وحشية وغنمها . . ويقوده إلى يزيد . . ويسأله يزيد :

ما حال وحشية ؟

فيرد غلامها : هى والله ليست بخير . . لا حفظ الله بنى قشير ولا بارك الله يوم رأيناهم . . انها والله عليلة منذ رأيناهم .

فقال خليفة : ويحك يا أخى . . ان هنا رجلا يستطيع أن يداويها فأخبرها بهذا ولا تخبر أحدا غيرها . . ووعدهم الراعى أن يفكر . .

حتى إذا جن الليل . . انحدر الراعى بغنمه حتى استقرت فى منامها . . وصحب يزيد إلى حيث توجد الشياه . . حيث توجد الشياه . . وأعطاه الراعى فروة شاة سوداء فلبسها يزيد وسار على أربع إلى حيث توجد وحشية . . وكأنه إحدى الشياه . .

وكان لقاء من العشق المجنون بين وحشية ويزيد . . سرت به سرورا شديدا . . وأدخلته سترا لها . . وجمعت عليه فى الصباح من تثق به من صويحباتها وأترابها .

وكان يزيد وخليفة قد تعاهدا على أن يذهب يزيد إلى وحشية ويظل خليفة فى الجبل البعيد ثلاث ليال . . فإن لم يعد يزيد ينصرف خليفة تاركا اياه عند وحشية .

ويقيم يزيد ثلاث ليال عند وحشية . . يعود فيها إلى كامل عافيته ثم انصرف من عندها إلى حيث يوجد ابن عمه . . فلقيه وهو سعيد بما أصبح عليه من العافية والسرور . . وطيب النفس . . ويسأله ابن عمه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما أخبارك يا يزيد :

يجيب يزيد :

لو انك شاهدت الصبا يا ابن بوزل بفرع الغضى إذ راجعتنى غياطله
لشاهدت لهوا بعد شحط من النوى على سخط الأعداء حلو شمائله
ويوما كإبهام القطاة مزينا لعينى ضحاه .. غالبا لى باطله
بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائلة

ويظل يزيد يعيش على تلك الليالى الجميلة التى قضاها مع وحشية .. وكلما اشتاق اليها أكثر .. احتال على رؤيتها ووصلها .. أو أرسل اليها بأشعاره ..

أحبك أطراف النهار بشاشة وبالليل يدعونى الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا شمالا لقدما كنت وهى جنوب

وكانت وحشية تجيبه بقولها :

أحبك حب اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لى من هواك طبيب

ويعيش يزيد فى ظل هذا العشق المجنون لا يميل إلى الحروب والبغضاء .. ولكنه يخترق هذه الظلمة الكثيفة بهذا الضوء الساطع من الصدق والشعر والجنون والوفاء لوحشية ..

والقصة على ما يبدو فيها من طرافة وعذوبة .. تروى بأكثر من رواية وفيها من المتناقضات ما يجعل حدوثها أمرا غير منطقى .. وإن دلت على طبيعة الحياة البدوية .. وعلى ألوان العيش التى يعيشها البدوى .. وعلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك العلاقات بين الرجال والنساء التى تصل إلى درجة الاختلاط . . بل الرهان على شرف النساء .

وفى الوقت نفسه . . تضيع العداوة بين القبيلتين لمجرد اللجوء إلى القبيلة التى يكثر فيها الخير والخصب .

أما ما كان من عشق يزيد . . فقد نجده يختلف عن مجانين العذريين أو المتيمين لأنه يصل إلى معشوقته - ولو عن طريق الحيلة - أما هم فإن جنونهم كان نتيجة عدم تحقيق هذا التواصل .

ومع كل هذا فهى نموذج لاحدى قصص العشق الجاهلية التى لا يلتفت اليها المؤرخون كثيرا بالرغم من طرافتها واختلافها .

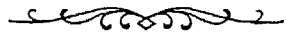

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

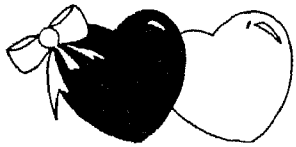

المخبَّل وميْـــلاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلو أن أم العَمر أضحت مقيمةً

بمصر وجثماني بِشحرِ عُمان

إذاً لرجوت الله يجمع شملنا

فإنا على ما كان ملتقيان

المخبَّل القيْسى

فى إطار ما نسوقه من قصص العشق . . نحاول قدر الاستطاعة أن نقدم تلك القصص التى لا تتكرر كثيرا . . والتى تختلف ولو قليلا عن غيرها قصد التنوع . . ومن هذه القصص تلك التى نرويها الآن لشاعر عاشق من قيس يقال له : كعب ويلقب بالمخبل القيسى .

وهو عبدالله بن أبى سعد الوراق . . وكان قد خطب ابنة عمه ودخل بها . . وأنجب منها ولدا .

وكان لزوجته أخت أجمل منها وأكثر حسنا ورقة يقال لها ميلاء . . وذات مساء . . خلا كعب بزوجته وكان شارد البال . . فسألته:ماذا بك يا أخى ؟

قال كعب : يا أم عمر . . هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسن منك ؟

قالت زوجته وهى لا تلوى على شىء :

— نعم . . أختى ميلاء . . أحسن منى . . وأجمل !

قال كعب : أرانى أحب أن أنظر اليها . .

فقالت : ان هى أدركت قصدك . . لن تخرج إليك . . ولكن قف هنا وراء الستر .

ففعل . . وأرسلت إلى أختها فجاءتها . . فلما نظر اليها كعب عشقها من النظرة الأولى . . وصدق ما قيل عنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومكث قليلا .. ثم خرج .. واعترض طريق ميلاء وهى عائدة إلى أهلها وصارحها بحبه لها .

فقالت : والله يا ابن العم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك فى قلبى أكثر منه .

قال : إذن عدينى باللقاء .. وأعدك بالعشق والشعر .

وواعدته باللقاء .

وحدث أن فاجأتهما أم عمرو وهما يجلسان فى صفاء .. فمضت إلى إخوتها السبعة وأخبرتهم بخبر كعب وميلاء .

واجتمع أمر الإخوة على أن يستنكروا ما يحدث .

وتصرخ أم عمرو : إما أن تزوجوا ميلاء كعبا .. وإما أن تكفونى أمرها .. ويوافق الاخوة على أن الأمر خطير .. ويبلغ ميلاء الخبر .

أما كعب .. فحينما بلغه ذلك أسرع بالرحيل إلى الشام حياء من اخوة زوجته .. وكان يقطن الحجاز مع قومه .. فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب .. وفى ذلك يقول كعب :

أفى كل يوم أنت من لاعج الهوى ... إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر
بعمشاء من طول البكاء كأنما ... بها خرز أو طرفها متحازر
تمنى المنى حتى إذا قلّت المنى ... جرى واكف من دمعها متبادر

ويصل كعب إلى الشام .. ويهبط عند صديق له .. ويروى عنه ما يقول :

وكان هذا الصديق يتجه إلى الحجاز حيث أهل كعب .. فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء وهو لا يعرفهما .. وسألهما عن الطريق إلى مكة .. فقالت أم عمرو :

— يا ميلاء .. صفى له الطريق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتذكر الرجل شعر كعب حينما سمع اسم ميلاء .. فأنشده .. فأقبلت عليه أم عمر وقالت : يا عبدالله .. من أين أتيت .

قال : أقبلت من الشام .

قالت : ولمن هذا الشعر .

قال : لأعرابى بالشام يقال له كعب .

فأقسمت عليه لا يبرح حتى يرى اخوتها .. ويعرفوا ذلك .

فقال لها : اننى أروى عنه شعرا آخر يا سيدتى .

فسألته أن يسمعها ما يحفظ فقال :

من الناس إنسانان دينى عليهما ... مليان لولا الناس قد قضيانى
خليلى أما أم عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلانى
بلينا بهجران ولم أر مثلنا ... من الناس إنسانين يهتجران
أشد مصافاة وأبعد عن قلى ... وأعصى لواش حين يكتفيان
تحدث طرفانا بما فى صدرونا ... إذا برمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى ... على مابنا .. أونحن مبتليان
فلا تعجبا مما بى اليوم من هوى ... فبى كل يوم مثل ما تريان

ويلتقى الرجل باخوة أم عمرو .. وكانوا قلقين على مصير كعب فهو أيضا ابن عمهم .. وكان كعب أظرفهم وأشعرهم .. فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق إلى مكة ..

ورحل الإخوة إلى حيث يكون كعب بالشام .. لكن حدث شىء عكر صفو الرحلة .. لقد اقتربوا من نبع ماء يشربون .. وكان كعب أيضا يزاحم على الماء .. فزحمه غلام منهم فقال له كعب : ويحك يا غلام .. من أبوك !

فقال : رجل يقال له كعب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : وعلى أى شىء يجتمع الناس هناك .
قال اجتمعوا على خالتى .
قال وما قصتها .
قال الغلام : ماتت .
فأدرك كعب أن هذا ولده . . وأن خالته هى ميلاء . . فزفر زفرة مات منها مكانه .
ويقبل عليه الاخوة . . فيدفنونه معها فى قبرين متجاورين . .
ويلتف بعض القوم . . ليعرفوا قصة هذا العاشق الهارب . . وكانوا قد رووا عنه أشعارا كثيرة منها :

أحقا عباد الله أن لست ماشيا بمرحاب حتى يحشر الثقلان
ولا لاهيا يوما إلى الليل كله ببيض لطيفات الخصور روانى
فلو أن أم العمر أضحت مقيمة بمصر وجثمانى بشحر عمان
إذا لرجوت الله يجمع شملنا فإنا على ما كان ملتقيان

هذه هى قصة عاشق هارب من عاطفتين صادقتين . . زوجته أم ولده . . وأختها الحسناء ميلاء .
وإنها والله لتضيف ملمحا مختلفا إلى ساحة العشق المجنون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن العجلان
عاشق زوجته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فارقت هندا طائعا
فندمت عند فراقها
فالعين تذرف دمعة
كالدر من مآقها

ابن العجلان

١

ربما تختلف عاطفة الحب من حالة وجدانية إلى أخرى .. وربما تلتهب هذه العاطفة كلما كثرت وعظمت العقبات بين العاشقين .. وبالتالى يقل هذا الالتهاب كلما وجد العاشق معشوقته كيفما شاء .. دون جهد أو نصب .

والشعر حينما يكون لسان حال العاشق .. فإنه لا يكف عن ترجمة تلك الحال التى عليها العاشق .. ولا شك أنها تتغير من الصد إلى اللقاء إلى الوداع إلى الهجر إلى العناق إلى الشقاق !

وقد ينتهى بعض المتفلسفين إلى أن العاشقين يظلان على عشقهما كلما كان كل منهما صعب المنال على الآخر .. حتى إذا انتهت هذه العاطفة بالزواج أخذت فى الخفوت والخمود إلى أن تنطفىء .. وتظل الذكرى هى التى تضمن لهما حياة مستقرة .

وقصص العشق غالبا لا تنتهى بالزواج .. ولهذا فإنها قصص حافلة بالصدق والحنين والبكاء والأسى .. فتخرج ما يشعر به المحب داخله .. حتى يبلغ به درجة الجنون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقصتنا اليوم .. تخالف كل هذه الظنون .. حيث تحكى عشق زوج لزوجته .. وكيف أصبح متيما بها .. بالرغم مما أحاطهما من القيود والصعاب .

وبطل هذه القصة هو عبدالله بن العجلان الأحب بن عامر بن فهد .. أحد الشعراء الجاهليين المقيمين .. بل هو أحد شهداء العشق العربى ..

وكان عبدالله وحيد والديه .. والعرب كانت تدلل مثل هذا الوحيد ولهذا أقطعه أبوه كثيرا من الخير .. فتاه على أقرانه فى نهد .

وذات يوم مر على نهر غسان .. فرأى جمعا من بنات العرب يغتسلن فى النهر . فنزل عن دابته .. وجلس على حافة النهر يملأ عينيه من هذا المشهد الجميل .

ولأن الشاعر بطبيعته متأمل .. فقد أخذ يتنقل ببصره وعقله بين هذه وتلك حتى وقعت عيناه على هند وهى تمشط شعرها وتسبله على بدنها .

وتسمرت عيناه ليتأمل هذا الجمال الالهى .. الذى وهبها شفافية فى بياض جسمها .. وسوادا فى شعرها المنسدل .. وتمنى لحظتها لو كان رساما يصور هذا الجمال فى لوحة .. لكنه ظل يتأمل حتى أصابه الحب بسهمه .. فلم يستطع أن يفلت منه طوال حياته .

وتخرج هند من الماء .. فتفاجأ بهذا الفتى وقد أقام حولها حصارا من العشق المباغت .

ويلتقيان .. ويتواعدان مرة .. ومرة .. ويشتد بهما العشق .. فينطلق عبدالله إلى أبى هند ليخطبها .

وكان عبدالله سيدا فى قومه « فهد » وابن سيد من ساداتها .. وكان أبوه أكثر بنى نهد مالا .. فلما تقدم إلى أبى هند أجيب وتزوج هندا .. وأقيمت الليالى .. وذبحت الذبائح .. وسعد الفتى بفتاته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢

ولأن العرب ينظرون إلى أولادهم باعتبارهم خلفاء لهم فى السيادة والمال . . فهم يتشاءمون من المرأة العاقر . . ويدفعهم ذلك إما لتطليقها وإما إلى الزواج عليها .

وكانت هند عاقرا . . لا تلد . . ظلت مع عبدالله سنين سبعا أو ثمانيا لا ترزق بمولود .

ولم يكن عبدالله يقيم لهذا وزنا . . بل على العكس تماما كان يزداد بها عشقا وهياما . . وكان كلما حدثوه فى ذلك تمسك أكثر بها وازداد بها ولها . . ولكن والده أصابه الأسى وطالب ولده أن يطلقها . . أرسل اليه يوما وبادره :

— يا ولدى أنت وحيدى . . وأملى فيك أن يكون لك ولد يرثك فى مالك وحسبك ونسبك . .

قال عبدالله : يا أبى . . هذا أمر الله . . وحسبى أنى أحيا هانئا مع هند . .

قال أبوه : إنها امرأة عاقر يا ولدى . . وقد مكثت معها سنوات طوالا وهى لا تلد . . ومن حقك أن تطلقها وتتزوج غيرها .

قال عبدالله فى حزم : لن أفعل هذا يا أبت .

هنا صاح أبوه بكل ما ملك من سلطة أبوية :

— إذا لم تفعل . . فهذا فراق بينى وبينك . لن أكلمك أبدا حتى تطلقها . . ولن أمنحك من مالى شيئا . . حتى تفعل .

قال عبدالله : لك ما تريد ياأبتى . . لكننى لن أطلقها . . ولن أجد فى بنات العرب من تعوضنى عنها .

كان عبدالله حاسما فى حواره مع أبيه . . وكان يستند إلى هذا العشق الجارف الذى ربط بينه وبين زوجته . فأنجب لهما هذه السنوات الثمانى من السعادة والهناء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن أباه لم يسترح إلى ما انتهى اليه أمر ولده معه . . انه ينتظر الفرصة السانحة لإرغامه على ترك زوجته .

لقد أرسل أبوه أعوانه فى أثره . . يراقبونه . . ويعرفون متى يصحو ومتى ينام . . ومتى يسكر حتى الثمالة . . ومتى يفيق .

ماذا يريد هذا الأب من ولده . . ولماذا يطبق عليه هذا الحصار . . لقد أحسّ عبدالله بكل هذا وأحست هند . . لكنهما تحملا كل شىء وكان جنون العشق بينهما أقوى من كل حصار .

٣

ويوما كان الأب جالسا مع سادات قومه . . فيدخل عليه من يبلغه أن ولده عبدالله قد سكر حتى الثمالة عند هند . .

وعلى الفور أرسل اليه من يطلبه .

لكن هندا تتوجس من هذا الطلب . . فتبادر زوجها :

— لا تذهب إلى أبيك يا عبدالله حتى تفيق . . فوالله قلبى يحدثنى أنه لا يريد لك خيرا الساعة .

قال لها عبدالله وهو فى سكره :

— ماذا يستطيع أن يفعل بى هذا الرجل ؟

قالت هند : لقد بلغه انك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقنى . . فنم مكانك . . ولا تمض .

وأخذته العزة . . والتحدى فعصاها وأبى أن يمكث فى البيت . .

فأقسمت عليه . . فأخذ يضحك ويضحك :

— أتريدين أن يقولوا عنى . . لقد خشى عبدالله أن يواجه أباه . . أتركينى يا امرأة . . لا أحب أن أكون ضعيفا خائرا أمام الناس . فتعلقت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هند بثوب عبدالله فضربها بمسواك كان فى يده . . وألقاها أرضا . وكانت يدها فيها زعفران . . فأثر فى ثوبه مكان يدها . . لكنه انطلق كالسهم إلى حيث أبوه . .

ويدخل عبدالله على أبيه . . فيجده بين سادة قومه وفتيان قبيلته . . نرحب به وأجلسه جانبه . . وهو لايزال فى سكره . .

ثم أخذ يؤنبه ويلومه على حاله . . وأخذ القوم الحضور يلومونه كذلك ويناوشونه . .

قال أحدهم : ما شهدنا رجلا عشق زوجته كل هذا العشق وهى لا تأتى له بماتقر به عينه من الولد .

وقال آخر : أى شغف هذا الذى تغرق فيه يا ابن العجلان . . أليست هند واحدة من بنات العرب . . لكنها امرأة ناقصة .

وقال ثالث : ما شهدنا رجلا أضعف قلبا أمام امرأة مثلك . . أين أنت من الفتيان الذين لهم القلب الصخر . . والحزم القوى .

ولم يكن عبدالله يحير جوابا . . بل كان كلما حاول أن يرد . . بادره أحدهم بلوم جديد . . وبوخز يصل إلى عمق القلب . . حتى انتهى المجلس به إلى الموافقة على تطليقها .

وحتى تتم اللعبة . . انطلق به الفتيان ليلتها إلى الخلاء . . فأخذوا يتسامرون ويشربون حتى الصباح .

ويرسل الأب من يخبر هندا فى الصباح بأن زوجها قد طلقها وعليها أن تعود إلى بيت أبيها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤

ويعود عبدالله إلى نفسه . . ويفيق من هذا الكابوس اللعين . . لقد تم كل شيء كما أراد أبوه . . وقد فقد هندا إلى الأبد . . ماذا يفعل بهذه السنوات الماضية التى ملأته سعادة وحلما ووفاء ، لك الله يا عبدالله !

ولعن الله السكر . والعناد !

ماذا يبقى له ؟

لقد شعر عبدالله بجسامة الخطأ الذى ارتكبه فى حق هند وفى حق نفسه أيضا . . لكن لا حيلة له . .

أخذ يأسف على ما فعل . . ويبكى :

ألا أبلغا هندا سلاما وأن نأت فقلبى بها مذ شطت الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقف ساعة بأنعم فى أهل الديار تطوّف

ويشرب كأسه حتى الثمالة لينشد مرة أخرى :

إلا إن هندا أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسا وأسهما

ويأتيه رفاقه لعلهم يسرون عنه كآبته وحزنه . . لكنه لا يكف عن الأسى والشعر :

أما هند فقد عادت إلى أبيها مقهورة يائسة . . فتلقاها أبوها . . وجفف دموعها . . وخفف عنها أساها وحزنها . . ثم قال لها :

— لا عليك يا هند . . سأزوجك بمن هو أفضل من ابن العجلان ! . . لك الله أيضا يا هند . . أى أسى حل بك بعد هذه السنوات السعيدة التى عشتها مع ابن العجلان . .

لم تمض أيام على عودة هند . . حتى خطبها رجل من بنى نُمير . . ذو حسب ونسب ومال يفضل ابن العجلان . . فزوجها أبوها منه . . وأقيمت الأفراح فى بيت أبيها . . ثم رحلت هند مع زوجها إلى قومه بنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نمير .

٥

ويظل عبدالله بن العجلان سقيما مشردا بعد رحيل هند وزواجها من غيره . . ولم يكن يملك الاتصال بها لما كان بين نهد - قبيلته - ونمير - قبيلة زوج هند من ثارات وعداوات وحروب .

وكثيرا ما كانت الصراعات تقوم بين القومين وتظل زمنا طويلا يحرم فيه على أى القومين الاتصال بالآخر .

وحدث أن جمعت نهد لبنى نمير جمعا فأغارت على طوائف منهم وفيهم بنو العجلان . . وبنو الوحيد . . وبنوقشير . . وغيرهم . . ويظل القتال معلنا ويظل الفتيان وقودا فى هذه الحرب لزمن طويل . . حتى انهزمت بنو نمير . . وغنمت بنو نهد أموالهم . . وقتل فى الحرب من قتل من الطرفين . .

وفى ذلك يقول ابن العجلان :

ألا أبلغ بنى العجلان عنى ... فلا ينبيك بالحدثان غيرى
بأنا قد قتلنا الخير قرطا ... وجلنا فى سراة بنى نمير
وأفلتنا بنو شكل رجالا ... حفاة يربئون على سُمير

وكان عبدالله قد أسر رجلا من بنى الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعده الوحيدى بالوفاء له . . فلم يف . . فقال عبدالله :

وقالوا لن تنال الدهر فقرا ... إذا شكرتك نعمتك الوحيد
فيا ندما ندمت على رزام ... ومخلعه كما خلع العتود

ويعرض على عبدالله فتيات الحى جميعا فلم يقبل واحدة منهن . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلا يزال عشق هند يمتلك عليه قلبه ويصيبه بالجنون .
وكان يرد على من يعرض عليه أية فتاة تعوضه عن هند :

فارقت هندا طائعا ... فندمت عند فراقها
فالعين تذرى دمعة ... كالدر من آماقها
متحلبا فوق الرداء ... يجول من رقراقها
خودُ رداح طَفْلةُ ... ما الفحشُ من أخلاقها
ولقد ألذُّ حديثها ... وأسرُّ عند عناقها

ثم يرفع صوته وكأن هندا تصغى اليه :

إن كنت ساقية ببز ... لِ الأدْم أو بحقاقها
فاسقى بنى فهد .. إذا ... شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم كيف نلحقها ... غداة لحاقها
بأسنة زرق صحبنا ... القوم .. حدَّ رقاقها
حتى نرى قصد القنا ... والبيض فى أعناقِها

ويبلغ هذا الشعر هندا فيتوقد قلبها جنونا .. ويشتعل حنينا وولها .. لكن هل من لقاء بين عاشقين .. ينتمى كل منهما إلى عداوة وحروب وبغضاء .. لقد كسبت نهد حربا مع بنى نمير .. لكن بنى نمير لم تنس هذه الهزيمة .. فقد جمعت فرسانها مرة أخرى .. لكى ترد على نهد هزيمة بهزيمة ..

وتعلم هند من زوجها ما عزم عليه القوم .. فأخذت تحدث نفسها :
— كيف أرتضى بهزيمة قومى بنى نهد .. صحيح أننى أنتمى الآن إلى بنى نمير قوم زوجى .. لكن فى نهد أبى وأمى وأخوتى .. وأسرتى كلها .
وتنهدت هند قليلا ثم أكملت :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— وفى نهد كذلك عبدالله !!

وتأملت الأمر .. وأخذت توازن بين كثير من الأمور .. وأخيرا استدعت غلاما فقيرا من بنى نمير وقالت له :

— هل لك فى خمس عشرة ناقة على أن تفعل ما أمرك به ..

ويفرح الغلام بهذا العطاء السخى .. ويسألها عن مطلبها فقالت :

— تنطلق إلى قومى فتنذرهم قبل أن يصلهم بنو نمير .

ولم يتردد الغلام .. فهناك خمس عشرة ناقة فى انتظاره ..

ومنحته ناقة لزوجها يركبها .. وزودته تمرا ووطبا من لبن .. فركب الغلام وجد فى السير .. حتى نفد اللبن وأحس العطش ..

ويصل الغلام إلى بنى نهد وقد يبس لسانه من العطش .. فلما كلموه لم يستطع أن يجيبهم وأشار إلى لسانه .. فأمر خِراش بن عبدالله بلبن وسمن دافئين .. وسقاه .. فابتل لسانه .. وتكلم قائلا :

— أنا رسول هند إليكم .. أتيتكم لأنذركم بقدوم بنى نمير محاربين .. وتجتمع بنو نهد وتستعد للقاء بنى نمير .. فلما اقتتلا انهزمت بنو نمير هزيمة ساحقة أنشد على أثرها ابن العجلان :

ألم تأت هندا كيفما صنع قومها ... بنى عامر إذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم ... وإنا نحيّ أرضكم ونزورها
فقلنا إذا لا ننكل الدهر عنكم ... بصم القنا اللائى الدماء نميرها
فذوقوا على ما كان من فرط إحنه ... حلا ثبنا إذ غاب عنا نصيرها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦

ويشتد السقم بعبدالله . . وتزداد نار العشق اشتعالا فى قلبه . . يريد أن يذهب إلى حيث هند . . لكن تلك الإحن التى ثارت بين القومين تحرم هذا اللقاء . . بل تجعله مستحيلا .

لم يجد عبدالله مفرا من الخروج والمخاطرة . . فهو لا يجد فى بقائه بين قومه إلا السقم والموت . . ولو خرج . . فهو معرض أيضا للموت . . لكنه موت كموت الشهداء . . فليكن شهيد العشق . . شهيد هند .

غافل عبدالله أباه وقومه . . وخرج سرا مخاطرا بنفسه حتى أتى أرض بنى نمير . . لا يرهب ما بينهم من الشر والبغضاء .

ويقصد خباء هند . . وقد أهلكه السفر . . وأخذ منه التعب كل مأخذ . . ويرى عبدالله هندا جالسة على الحوض . . وزوجها يسقى إبله بالقرب منها . . فلما نظر اليها . . ونظرت اليه . . رمى بنفسه عن بعيره . . وأقبل عليها كالمجنون الطائش . . فأقبلت هى أيضا عليه كالمجنونة الطائشة . . وعانق كل منهما الآخر . . وأخذا يبكيان وينشجان ويشهقان كثيرا وزوج هند ينظر اليهما فى دهشة وعجب . . غير مصدق عينيه . . ويظل العاشقان فى بحر دموعهما الدافىء حتى سقطا على وجهيهما بلا حراك .

ويسرع زوج هند . . لينظر ما انتهى اليه حالهما . . فوجدهما ميتين . . ويدفن العاشقان فى قبر واحد . . بعد أن سطرا واحدة من قصص العشق . . كتب على بطليها الموت عشقا . . وجنونا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

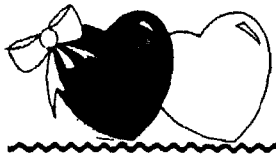

عبد الله بن علقمة
وصاحبته حبيش